

215287 - ما الحكم من سؤال الله الملائكة عن أحوال عباده وهو أعلم بهم منهم؟

السؤال

ما هي الفائدة التي نستنبطها من بعض النصوص التي يسأل الله فيها عباده، كسؤاله جبريل ماذا يرجون؟

الإجابة المفصلة

روى البخاري (6408)، ومسلم (2689) – واللفظ له – عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضْلًا، يَتَبَرَّعُونَ مَجَالِسَ الذَّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجِلِسًا فِيهِ ذُكْرٌ قَعَدُوا مَعْهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَبِسْمِ اللَّهِ الَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، مِنْ أَيْنَ جِئْنُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَيُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمُدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟، قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟، قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمْ يَسْتَجِيرُونِي؟، قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟، قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَنِيهِمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرَتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبُّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ حَطَاطٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَاسَ مَعَهُمْ، فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفْرَتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ).

وفي رواية البخاري: (فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدُّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدُّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرُ لَكَ تَسْبِيحًا)

وروى مسلم (1348) عن عائشة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمٍ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هُؤُلَاءِ؟)

وفي رواية: (هُؤُلَاءِ عِبَادِي جَاءُوا شُغْفًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فَجْعَلٍ عَمِيقٍ، يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَيَخَافُونَ عَذَابِي، وَلَمْ يَرَوْنِي، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟).

رواه عبد الرزاق (8830)، وحسنه الألباني في " صحيح الجامع" (1360).

ومن حكم سؤال الله تعالى ملائكته عن أحوال عباده، وما ورد بمعنى ذلك في الأحاديث، والله أعلم:
– أنه سبحانه يريد أن يبين تفضله عليهم برحمته ومحفوته، وقضائه حاجاتهم، جزاء عملهم الصالح، وحسن رغبتهم في فضل ربهم؛ حتى يتعرف الخلق على الله تعالى بأسمائه وصفاته، وما يتفضل به على عباده الصالحين.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله في شرح حديث فضل الوقوف بعرفة المتقدم:

"يقول سبحانه وتعالى: "ما أراد هؤلاء؟" يعني: أي شيء أرادوا من مجدهم إلى هذا المكان؟ يريد بذلك أن يتفضل عليهم بالرحمة والمغفرة، وإعطائهم سؤلهم".

انتهى من "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (23/26).

– أن يبين فضل هؤلاء الطائعين الصالحين؛ حيث رجوه وخافوه بالغيب، ولم يروه.

- أن يبين تعالى لملائكته سبب مباراته بهم وكرامته لهم؛ حيث يقررهم بأن عباده جاءوه شعثاً غبراً راغبين، ويتبين ذلك أيضاً بقوله: (... فَيَقُولُونَ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟) إلى آخر الحديث؛ فيقر لهم الملائكة بالطاعة والاستقامة بالغيب، بخلاف حال إبليس الذي استكبر وأبى.

وأسلوب التقرير بالسؤال والجواب يقع أيضاً مع الكافر، فيقع مع المؤمن إظهاراً لشرفه، وإظهاراً لنعمة الله عليه وفضله، ويقع مع الكافر تقريراً وإذلالاً له، وإقامة للحججة عليه؛ كما في حديث أبي هريرة في محاسبة الكافر يوم القيمة: (... فَيُلْقِي الْعَبْدُ، فَيَقُولُ : أَيْ فُلَّ الْمُكْرِمُكَ ، وَأَسَوْدُكَ ، وَأَزْوْجُكَ ، وَأَسْخَرْ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِبْلَ ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَيْعُ ؟ ، فَيَقُولُ : بَلَى ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَفَطَشْتَ أَنْكَ مُلَاقِي ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيَتِنِي) رواه مسلم (2968).

- فيه إشارة إلى جواب الملائكة عن قولهم: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

”فِيهِ أَنَّ السُّؤَالَ قَدْ يَضُرُّ مِنَ السَّائِلِ ، وَهُوَ أَغْلَمُ بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ مِنَ الْمَسْئُولِ ، لِإِظْهَارِ الْعِنَاتِيَّةِ بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ ، وَالثَّوِيَّةِ بِقَدْرِهِ ، وَالْإِغْلَانِ بِشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ ، وَقِيلَ إِنَّ فِي خُصُوصِ سُؤَالِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةِ عَنْ أَهْلِ الدُّكْرِ : الْإِشَارَةِ إِلَى قَوْلِهِمْ (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) ؛ فَكَانَهُ قِيلَ لَهُمْ : أَنْظُرُوا إِلَى مَا حَصَلَ مِنْهُمْ مِنَ النَّسْبِيَّةِ وَالثَّقَدِيَّةِ ، مَعَ مَا سُلْطَ عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَوَسَاوسِ الشَّيْطَانِ ، وَكَيْفَ عَالَجُوا ذَلِكَ ، وَصَاهُوكُمْ فِي النَّسْبِيَّةِ وَالثَّقَدِيَّةِ . وَقِيلَ إِنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الدُّكْرَ الْحَاصلَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَعْلَى وَأَشَرَّ مِنَ الدُّكْرَ الْحَاصلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِحُصُولِ ذِكْرِ الْأَدَمِيَّينَ مَعَ كُثْرَةِ الشَّوَّاғِلِ وَوُجُودِ الصَّوَارِفِ وَصُدُورِهِ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ ، بِخَلَافِ الْمَلَائِكَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ”.

انتهى ”فتح الباري“ (11/213).

وينظر: ”عدة القاري“، للعيني (23/28)، ”دليل الفالحين“ (7/247).

والله أعلم.